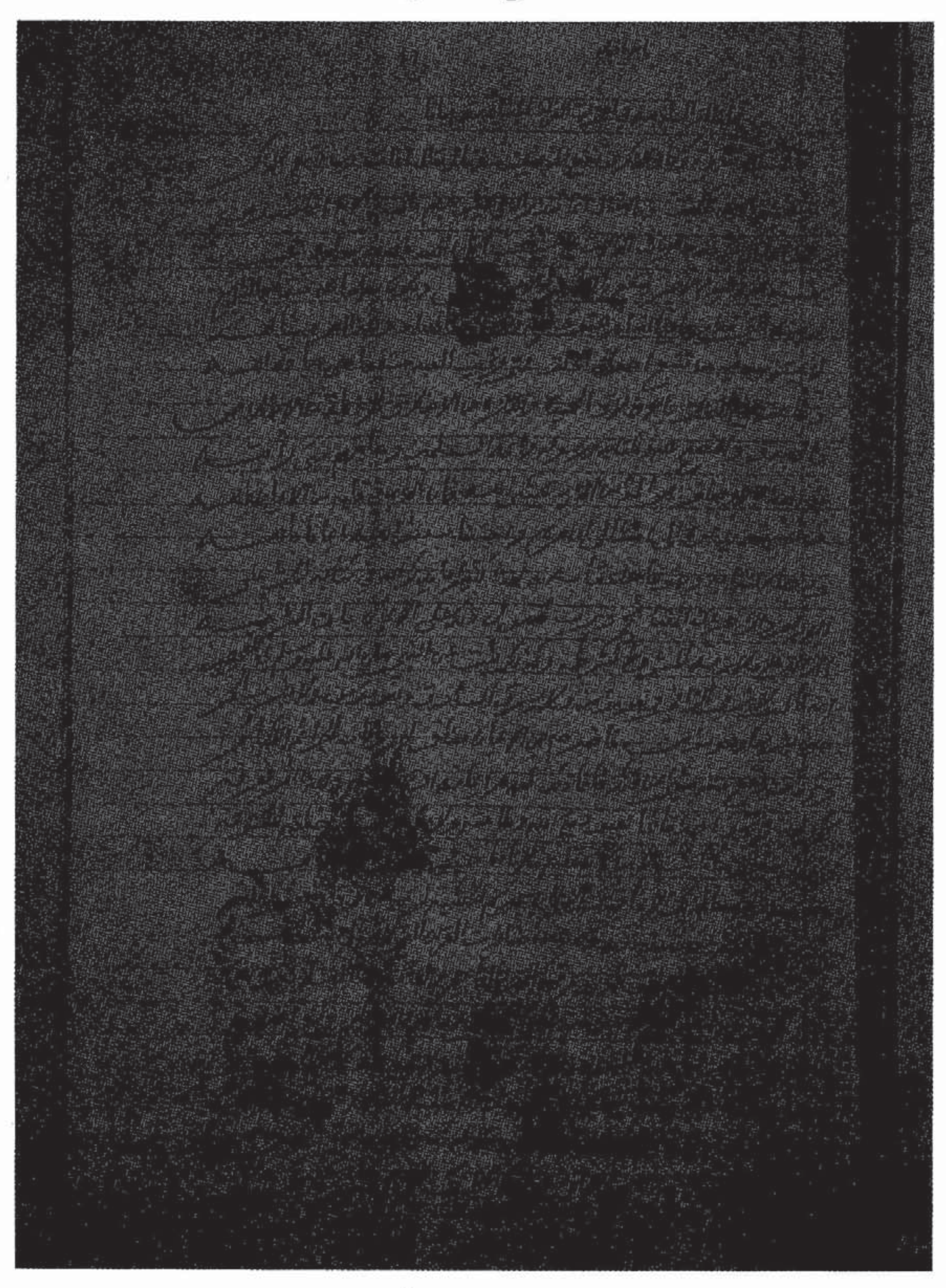
المقالة السادسة والسابعة والثامنة في

معجزات القرآن المشاهدة للعيان

تأليف
الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن ناصر السعدي
رحمه الله

يطبع لأول مرة

نماذج المخطوط



صورة اللوحة الأولى



صورة اللوحة الأخيرة

المقالة السادسة
في معجزات القرآن المشاهدة عيانًا

قال الله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الذاريات: ٥٥]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ﴾ [يس: ١١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ﴾ [فاطر: ١٨] الآية، ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴾ [النازعات: ٤٥][(١)]؛ إلى غير ذلك من الآيات الدالات على أنه بحسب إيمان العبد بالله وبرسله، وبحسب خشيته لله ولليوم الآخر ينتفع بالذكر [...][(٢)] ويكون مطيعا لله منقادا لشرائع دينه التي مدارها على القيام بحقوق الله، وحقوق العباد، وهذا أمر مشاهد لا يستريب فيه من تتبع أحوال الخلق.

فمتى رأيت العبد مستقيمًا على عبادة الله وطاعته، وعلى التخلق بالأخلاق الحميدة والتنزه عن الأخلاق الرذيلة؛ من الإخلاص والصدق والنصح لله ولكتابه ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم، متى رأيته على هذه الأوصاف؛ فهو المؤمن الذي يخشى الله؛ فإن الذي في قلبه من الإيمان بالله وخشيته يدعوه إلى امتثال أوامره واجتناب نواهيه؛ إيمانًا بالله ورجاء لثوابه وخوفًا من عقابه؛ ولهذا كثيرًا ما يذكر الله في كتابه الحث على الأوامر والزجر عن القبائح، ويرتب حصول ذلك على الإيمان بـ (إن) الشرطية الدالة على ملازمة المشروط لشرطه.

وكذلك ثبت عن النبي ﷺ في الصحيحين أنه قال: «لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»[(٣)]. فأخبر ﷺ أن الإيمان

---

(١) في المخطوط: «إنما تنذر من يخشاها».

(٢) ما بين المعكوفين مطموس في المخطوط.

(٣) تقدم تخريجه ص٥٦.

منافٍ لارتكاب الجرائم والكبائر، وأن من وقع منه شيء من ذلك، فإنما ذلك لعدم إيمانه أو ضعفه، وهذا أمر يعرفه كل أحد؛ لا تجد أحدًا قائمًا بعبودية الله وطاعته ولا مؤديًا لحقوق خلقه المتنوعة، ولا مؤديًا للأمانات إلا من كان قلبه ملآنَ(1) من خشية الله [.....](2) لربه، ولا تجد مضيعا لذلك إلا فاقد الإيمان عديم الخشية لربه [.....](3) جدًّا، وتلاشت خشيته لله.

وهذا من إخبارات القرآن التي لا تزال شاهدة، ولا تتخلف آثارها عنها، وقد عرفها البر والفاجر والعامة والخاصة، فتجدهم إذا رأوا من يتجرأ على الجرائم، ويتعدى على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم؛ قالوا: هذا ليس في قلبه إيمان، وهذا لا يخشى الله ولا يخافه.

كما أنهم إذا رأوا من يقوم بطاعة الله وحقوق الخلق [....](4) الأمانة قالوا هذا المؤمن وهذا الذي يخشى الله ويتقيه.

- قوله تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] الآية.

أخبر تعالى أنه من أقام الصلاة فإن صلاته تنهاه عن كل فحشاء وهو الجرم الكبير المتفاحش قبحه، وعن المنكر وهو كل معصية ومحرم، وهذا مشاهد متى أقام العبد الصلاة؛ أي حافظ عليها وعلى جميع حقوقها وشروطها ومكملاتها الظاهرة والباطنة، فلا بد أن تنهاه عن الفحشاء والمنكر، ولا بد أن يكون مستقيما في أحواله؛ وذلك أن الصلاة ميزان الإيمان؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ

(١) في المخطوط: ((ملآنًا))، ولعل المثبت هو الصواب.

(٢) ما بين المعكوفين مطموس في المخطوط.

(٣) ما بين المعكوفين مطموس في المخطوط.

(٤) ما بين المعكوفين مطموس في المخطوط.

ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [التوبة: ١٨].

وقال ﷺ: «**إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد، فاشهدوا له بالإيمان فإن الله يقول:** ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾»(١).

وليس المراد إقامة صورة الصلاة من دون حقيقتها وروحها الذي هو خشوع العبد بين يدي ربه، فإن هذا ليس بإقامة لها حقيقة بل هو فعل لظاهرها دون باطنها.

- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥] فأخبر تعالى جوابًا لسؤال السائلين عن الروح وعن حقيقتها أنها من أمره، وهو أمره القدري الذي يوجد به الأشياء التي يعرف العباد أسبابها، والتي لا يعرفون أسبابها، فمن عرف أن أمره تعالى إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون؛ عرف أن الروح؛ روح الآدمي وغيره - قد أوجدها الله بقدرته وبحكمته وجعلها حياة للأجسام تحيا بوجودها وتضمحل بفقدها، فأمره تعالى الذي انقادت له عناصر العوالم كلها، ومن جملتها الروح التي لم يهتد أهل العقول لمعرفة كيفيتها وحقيقتها، وإنما رأوا آثارها وهذا من آيات الله العظيمة؛ فإن العلوم الطبيعية قد تبحرت وارتقت في هذه الأوقات وتغلغلت في أسرار المخلوقات، ومع ذلك فقد وقفوا حائرين في سر الحياة التي يحيي الله بها الأجسام، وأنه مهما أوتوا من العلم فإنه قليل جدًا في معلومات الله تعالى؛ فالروح التي هي ملازمة لهم من وجودهم إلى موتهم عجزوا عن معرفة سر تعلقها بهذه الأجساد، وإنما اهتدى لها من خضع لهداية الله على ألسنة رسله؛ حيث أخبر في كتبه وعلى ألسنة رسله أنه يرسل الملك على النطفة التي مرت عليها الأطوار الثلاثة فينفخ فيها فتحيا بإذن الله وأمره، وأنه لا سبيل لأحد من الخلق مهما عظم علمه وقدرته أن يوجد شيئًا من المخلوقات مهما صغرت ودقَّت، وقد حاولوا ثم حاولوا ذلك مرات بعد مرات، وسيحاولون فلا يستطيعون وسيبقون على حيرتهم إلا من اهتدى

---

(١) أحمد (١١٦٥١)، الترمذي (٣٠٩٣)، ابن ماجه (٨٠٢).

منهم بهداية الله، واعترف بالله وبآياته ورسله، ولم تغره أصول الملحدين الذين ينكرون أمور الغيب، ولا يثبتون إلا ما أدركوه بحواسهم القاصرة الذي حين جاءتهم علوم الرسل أنكروا واستكبروا وفرحوا بما عندهم من العلم واستهزءوا بعلوم الرسل وهدايتهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون.

- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ - ١٠]. أخبر تعالى أن ﴿مَنْ أَعْطَىٰ﴾؛ أي: قام بأوامر الله ورسوله ﴿وَاتَّقَىٰ﴾ ما نهى الله ورسوله عنه، ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أي: بالتوحيد والإيمان وجزائه؛ فإنه ييسره لليسرى في أموره كلها وإن بخل بما أمر به واستغنى عن ربه وتكبر عن طاعته وعبادته وكذب بتوحيده والإيمان به؛ فإنه ييسره للعسرى؛ وهذا أمر مشاهد لا تجد أحدًا قائمًا بالأوصاف الأوَّلة إلا أموره ميسرة وأحواله متسهلة وأموره مستقيمة والعكس بالعكس؛ ولهذا قال ﷺ: **«اعملوا فكل ميسر لما خلق له؛ أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة، فييسر لعمل أهل الشقاوة»**[1]. وتلا ﷺ عند ذلك هذه الآية.

ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]. وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]. وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

فالمؤمن المتقي لله أموره الدينية والدنيوية كلها ميسرة وحياته طيبة وعواقبه حميدة كما قال تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

---

(١) البخاري (٤٩٤٩).

المقالة السابعة
في معجزات القرآن المشاهدة

- قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ﴾ [غافر: ٦٠]. وقال تعالى ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ [الأنعام: ٦٤]. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على إجابته تعالى لأدعية الداعين، وكشفه الضر عن المضرورين، وتيسيره لكل أمر عسير وتسهيله للصعاب وتذليله للعقاب[1]، وهذا شيء محسوس ووقائعه في كل وقت في غاية الكثرة لا ينكرها إلا مكابر مباهت، فكم دعا اللَّهَ عبدٌ في أمر بعيد التناول عسير الحصول، فقبل الله دعوته وأجاب طلبته! وكم لجأ إليه مضطر فكشف ضره! وكم وقع العبد في هلكة فاستنقذه منها!

- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]. وهذا أيضًا مشاهد ما بغى باغٍ على غيره، ولا مكر به مكرًا وغدرًا إلا عوجل بالعقوبة، وقد يؤخر عنه تأخيرًا مؤقتًا، ولكن تكون عاقبته وخيمة وضد ذلك بضده؛ قال تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ [الإسراء: ٣٣]؛ أي: تسلطًا وقدرة شرعًا وقدرًا.

ونظير ذلك أن من بَرَّ والديه ووصل أرحامه؛ وصله الله في عمره ورزقه ويسره لليسرى وجنبه العسرى، ومن عَقَّ والديه وقطع أرحامه، قطعه الله وتعسرت أموره؛ فإن الله تعالى جعل الجزاء الدنيوي والأخروي من جنس العمل، وكما تَدين تُدان، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]؛ أي: أنساهم مصالحها والسعي فيما ينفعها،

(١) مفردها: عقبة؛ أي المرقى الصعب. القاموس المحيط (ع ق ب).

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾[1] [الزخرف: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢]. فإن المكثر لذكر الله في قلبه ولسانه الشاكر له على نعمائه لا يزال في حياة طيبة ونعم غزيرة وزيادة منها، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٤]. فُسِّر هذا الضنك بعذاب القبر، وفسر بما هو أعم منه وهو صريح اللفظ؛ فإن المعرض عن ذكر الله معيشته في هذه الحياة ضنك مكدرة من وجوه كثيرة، وهذا من آيات الله ومعجزات القرآن؛ كما أن ذلك أيضا من رحمة الله يعاقب به المعرضين عنه ويُلجئ به كثيرًا منهم إلى الإقبال عليه؛ فإن العقوبات الدنيوية فيها الأمران؛ فيها الجزاء على الجرائم، وفيها أنها سوط يسوق الله به من يشاء من عباده إلى الخير والرغبة فيه والتوبة؛ كما قال: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١]. وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾[2] [الزمر: ١٦].

فكم رجع إلى الله بهذه الأسباب من كان معرضًا، وكم تاب إليه من كان عاصيًا، وكم أجاب اللَّهُ داعيًا وفرج كربًا وأزال غمًّا وهمًّا، وكم أعان ضعيفًا متوكلًا، وكم أزال شدة وكشف مشقة! ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الشورى: ٢٨]، وأجناس هذه الأمور فضلًا عن أنواعها فضلًا عن أفرادها لا يعدها العادُّون ولا يحصرها أحد، وكلها آيات وبراهين على ما أخبر به في كتابه عن نفسه وسعة رحمته وجزيل عطاياه وتنوُّع كرمه، وحصول هذه الأمور بدون الأسباب الحسية، فإنه تعالى يوجد الأشياء بأسباب معلومة معروفة، وبأسباب إلهية ربانية أقوى بكثير كثير من الأسباب الحسية؛

(١) في المخطوط: ((ومن يعرض...))، وهو سهو، وأثبتنا الصواب.

(٢) في المخطوط: ((ذلك الذي يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون))، وهو سهو، وأثبتنا الصواب.

ليزداد المؤمنون إيمانًا وتقوم الحجة على الجاحدين، ويزول الشك عن المرتابين، ومن زعم أن سنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير خاص بالأسباب الحسية؛ فقد قال منكرًا من القول وزورًا، ومنشأ هذا الغلط الفاحش مأخوذ من أصول الملحدين الماديين الذين ينكرون كل شيء من أمور الغيب وغيرها إلا ما أدركته حواسهم، بل إن معنى سنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير هو مجازاته للطائعين والعاصين في الدنيا والآخرة، وجريان الأمور كلها على وفق حكمته وقدرته؛ سواء أدرك العباد أسبابها أو لم يدركوها أو أدركوها من وجه دون وجه.

- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ٩٩، ١٠٠]. وهذا من آيات الله المشاهدة فإنه ما حقق عبد الإيمان والتوكل على ربه إلا وجدته محفوظًا بحفظ الله معصومًا من الشيطان، ولا أعرض عبد عن ذلك وتولى عدوه الشيطان إلا ولاه الله ما تولى لنفسه، وكان فريسة لعدوه، وهذا أمر مُطَّرِد لا ينتقض ولهذا حث الله عباده على تحقيق الإيمان والالتجاء إليه في تحصيل مصالحهم ودفع مضارِّهم وتحقيق عبوديته؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فهذه الأسباب التي وضعها الله طريقًا لهدايته ومعونته وحفظه لا تتخلف عنها مسبباتها.

- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [البقرة: ٢٧٦] أخبر تعالى خبرًا في ضمنه التخويف والترغيب أن المُعامل في الربا وإن زاد في كسبه واستدرج استدراجًا مؤقتًا أن آخر أمره المَحْق ونزع البركة، وأن المتصدق الذي يقصد بصدقته وجه الله، ويراعي محلها يزيده الله نماء وبركة في رزقه؛ كما قال ﷺ «**لا تنقص صدقة من مال**»(١). بل تزيده، بل تزيده.

(١) الطبراني في الأوسط (٢٢٧٠)، والصغير (١٤٢)، البزار (١٠٣٢).

وهذا أيضًا مشاهد بالتجربة والتتبع والاختيار يستغنى بالنظر إلى وقائعه عن كثرة الأمثلة؛ فوقوع هذا المخبر به مع أن الأسباب الحسية المادية إذا نظر إليها وحدها توجد منافية لذلك؛ لأن السبب الذي أوقع المرابي في الربا هو طلب الزيادة؛ كما أن السبب الذي منع كثيرًا من المنفقين خوف النقص والقلة؛ كما قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ أي البخل ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

فوجود ما أخبر الله به في كتابه مع منافاته لهذه الأمور من أكبر المعجزات والآيات، وأن ثم مواد إلهيةً وأسرارًا ربانية تسيطر على الأسباب الحسية؛ قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

المقالة الثامنة

- قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

أخبر تعالى أنه لا يقول إلا الحق، وهو الصدق والحقائق النافعة، وذلك شامل لكل ما يقوله في كتابه وعلى لسان نبيه محمد ﷺ من متعلقات التوحيد والرسالة وأمور الغيب السابقة واللاحقة، ومن أخبار الأولين والآخرين ومن أحكامه الشرعية وأحكامه القدرية وأحكام الجزاء؛ فكل ذلك حق وصدق ومطابق للواقع وللحكمة؛ قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾[1] [الأنعام: ١١٥]. وأنه تعالى مع قوله للحق يهدي السبيل، والسبيل هي الأدلة العقلية والنقلية الموصلة إلى الحق، فهذه الدلائل وتلك المسائل والعلوم الصحيحة كلها ترجع إلى هذين الأمرين: مسائل ودلائل، وهذا من آيات القرآن العظيمة ومعجزاته الصادقة، فجميع ما جاء به الكتاب والسنة حق وصدق في أخباره عدل وحكمة في أوامره ونواهيه وأحكامه، لا يخرج منه شيء عن هذا الأصل الشامل ومن حقيته وصدقه وحسنه أن شرعه وأحكامه موافقة لكل الأحوال وصالحة لجميع الأزمنة، بل لا تصلح الأمور؛ أمور الأفراد وأمور الجماعات إلا به، ومع توسع علوم الطبيعة وتبحرها، وتوسع علوم الاجتماع والعمران لم يأت ولن يأتي علم صحيح يناقض ما جاء به القرآن؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد عالم الغيب والشهادة؛ علوم الخلائق كلهم من علمه وتعليمه قال تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥].

ومن كمال حقية القرآن أن أخباره تملأ القلوب إيمانًا ويقينًا وطمأنينة، وتوجيهاته كلها توجه العباد إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وإلى صلاح أخلاقهم وأعمالهم، ونواهيه

(١) في المخطوط: «وتمت كلمات ربك ...»، وهو سهو، وأثبتنا الصواب.

وزواجره تزجرهم عن كل شر وضرر وفساد، فهو يوجه إلى كل خير وينهى عن كل شر؛ كما قال تعالى في وصف ما جاء به الرسول الوصف العام الذي يأتي على جميع شريعته: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]. ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]؛ أي: أصلح الأمور وأكملها وأنفعها لعباده في معاشهم ومعادهم، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ [غافر: ٢٠]، ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾[1] [سبأ: ٢٦]. فهو تعالى يقضي بين العباد ويفتح ويحكم بينهم بأحكامه الكونية وأحكامه الشرعية وأحكام الجزاء بالثواب والعقاب.

كل هذه الأحكام مشتملة على الحق، وغايتها ومقصودها الحق الموافق لحكمة الله وحمده، الذي تذعن له عقول العقلاء ويعترف بكماله وصلاحه وإصلاحه أولو الألباب والنهى، فلم يخلق شيئًا عبثًا ولا باطلا ولم يقدر قدرًا كبيرًا أو صغيرًا إلا موافقًا للحكمة، ولم يشرع شيئًا إلا لمصالح العباد ومنافعهم، ولم يعاقب أحدًا إلا بعدل وحكمة وجرم من العبد، وما يعفو عنه أكثر، ولم يثب أحدًا عاجلًا وآجلًا إلا برحمته وحكمته؛ فأحكامه كلها محكمة في غاية ما يكون من الحسن؛ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

---

(١) وردت في المخطوط: ((قل يحكم بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق))، وهو سهو، وأثبتنا الصواب.